**المحاضرة الثالثة:**

**حلـقــة مـــوسـكـو**

إن الحديث عن حلقة موسكو اللسانية يعني أن نتحدّث عن السياق العام الذي نشأت فيه، التاريخي والعلمي، فهي من جهة نشأت ضمن الشكلانية الروسية، وخلال الحرب العالمية الأولى (1915م). نشأت مدرسة موازية لحلقة موسكو، ذات نزعة تقليدية سنة 1917م تسمّى بالشكلانية الروسية التي كانت على مبدأ: إن الأثر الأدبي يتميز ببروز شكله، فهي كما ترى تعيد الاعتبار إلى الجانب الشكلي الذي غيّب في النقد الروسي التقليدي. سنبدأ حديثنا عن الشكلانية الروسية ثم حلقة موسكو.

**أولا: الشكلانية الروسية:**

**1- ظهورها:**

بدأت الشكلانية الروسية، حسب **رامان سلدن**، من خلال جماعتين: الأولى، وهو موضوع محاضرتنا، **حلقة موسكو اللغوية** والتي أسّسها **رومان جاكبسون وفيليب فيدوروفيتش فورتوناتوف**، والثانية أبوياز (Opoyaz) وهو اختصار لجمعية دراسة اللغة الشعرية بقيادة فكتور شلكوفسكي ( Victor Chklovski) وبوريس إيخنباوم (Boris Eichenbaum). وكانت القوة الدافعة للجماعتين هي حركة الشعراء المستقبليين.

ويشير **جان إيف تاديه** إلى المفارقة التي عرفتها الشكلانية الروسية، فهي المدرسة الأكثر إبداعا في القرن العشرين، إلا أن نشاطها العلمي لم يستمر كثيرا لأسباب تاريخية وسياسية؛ فقد ولدت أثناء الحرب العالمية لكن سرعان ما قطعت الدكتاتورية مسيرتها عام 1930 ولم تعرف بشكل جيد ولم تأخذ قدرها من التقويم في أوروبا الغربية وفي الولايات المتحدة إلا بعد نشر كتابين هامين هما: الشكلية الروسية لفيكتور إيرلش، ونظرية الأدب الذي يضم نصوصا للشكليين الروس جمعها وترجمها وقدم لها تزفيتان تودوروف وصدر عن دار سوي عام 1965م.

**2- التعريف بها:**

تعتبر الشكلانية الروسية نزعة أدبية ونقدية تسعى إلى إبراز قيمة الشكل والقيم الجماليّة على مضمون العمل الأدبيّ، وما فيه من فكر أو خيال أو شعور. ركّزت الشكلانية الروسية -في بداياتها- اهتمامَها على الشكل في العمل الأدبيّ، لكنّها تطورت لاحقًا إلى دراسة بنية هذا الشكل، ومن أبرز ما ميّز الشكلانية الروسية هو رفضها لكلّ ما هو مُغرق في الغموض، كما اعتمدت الشكلانية منهجيّة تجريبيّة تركز على دراسة الظواهر والملاحظات التجريبية، بعيدًا عن الانطباعية، وكان تركيزها على الشكل ونسيج النص اللفظي، وهذا دفعها إلى دراسة الأصوات وتكراراتها وتناسقها وإيقاعها، وممّا هو جدير بالذِكر أن المدرسة الشكلانية الروسية وضّحت الفرق بين اللغة الشعرية واللغة العمليّة في استخدام الكلمات، كما عملت على تحديد المستويات المختلفة للنص وأساليبه.

يمكن أن نلخّص حديثنا عن الشكلانية الروسية باقتصارها على التركيز على أطروحتين أساسيتين هما: التشديد على العمل الأدبي وأجزائه المكوّنة والإلحاح على استقلال علم الأدب. وقد سمّى الشكلانيون

أنفسهم بالمورفولوجيين والتمييزيين. ولكن خصومها وسموها بالوصف الشكلاني. وقد عالجوا الشكل بوصفه مجموعة من الوظائف في النص الأدبي تظهر باختلاف هذا النص عن غيره من النصوص ببروز شكله. في حين نظروا إلى المضمون الإنساني (معنى النص الأدبي) من انفعالات وأفكار نظرة تسقط عنه أي أهمية أدبية، وتجعل منه مجرّد سياق يتيح للوسائل الأدبية أن تؤدي عملها.

**ثانيا: حلقة موسكو اللسانية:**

في حقيقة الأمر، لم تصلنا أعمال هذه الحلقة بالشكل الكافي لمعرفتنا بها، وبقيمتها العلمية اللسانية وأثرها في الدراسات الأدبية والنقدية. ربما لعدم ترجمة أعمالها وهي كثيرة إلى اللغة العربية لجعل الباحثين العرب باللغة الروسية، أو لأسباب أخرى لم نستطع تحديدها على وجه الدقّة. وسنبدأ حديثنا عنها من نشأتها إلى بعض الأعمال التي تركتها، وتأثيرها في المدارس التي جاءت بعدها.

**1- نشأتها:**

تكوّنت عام 1915 وذلك حين وصل تلميذ دي سوسير كارسفسكي الذي قام بنشر أفكار أستاذه في الأوساط الشبانية التي كانت مهيأة أو مستعدة لتقبُّل المفاهيم الجديدة والعمل بها لتطوير الدراسة اللغوية التي كانت آنذاك خاضعة للمناهج التقليدية، ومن هؤلاء الشبان جاكبسون الذي اهتم منذ صغره باللغة واللهجات والفولكلور واطّلع على أعمال دي سوسير وغيره ثم أسس النادي اللساني بموسكو، وهو النادي الذي تولدت عنه مدرسة الشكلانيين الروس في 1917م.

في نشأة هذه الحلقة يتحدّث مؤسسها جاكبسون عن ظروف نشأتها أنه خلال شتاء عام 1914-1915م؛ حيث قام بعض الطلبة بتأسيس حلقة موسكو اللغوية، وكان هدفها تشجيع اللسانيات والأدب الصناعي أو الشعرية، واستنادا إلى البرنامج الأولي لهذه الحلقة فقد قامت بنشر أول كتاب جماعي حول نظرية اللغة الشعرية في بتروغراد عام 1916. وتزامن مع نشأة حلقة موسكو نشأة حلقة أخرى هي حلقة قازان الروسية كذلك، حلقة موسكو ورائداها جاكبسون وفور توناتوف (1848-1914) وحلقة قازان سميت بذلك؛ لأن صاحبها بودوان كورتوني كان يدرس في هذه المدينة عدة سنوات وجمدت حركاتهما بسبب ظهور نظرية في منتهى السخافة وعادت الأمور إلى مجرها سنة 1950.

كانت هذه الحلقة اللسانية تجمع مفكرين مهمين للغاية في مجالات السيميولوجيا والنظرية الأدبية واللسانيات، الذين عملوا في موسكو من عام 1915 إلى حوالي عام 1924. من بينهم فيليب فيدوروفيتش فورتوناتوف، رومان جاكوبسون، غريغوري فينوكور، بوريس توماسشيفسكي، وبيتر بوجاتيرف.

عقدت هذه الحلقة أولى جلساتها في مارس 1915 وكان من مهامها البحث في مجال الشعر والتنظيم، وعلم الجمال، والعروض، وأسهم فيها ياكبسون بوضع بعض النظريات الأدبية الحديثة.

**ثالثا: أعلامها**

**1- رومان جاكبسون (Roman Jakobson)**

ولد جاكبسون بموسكو عام 1896م من عائلة يهودية روسية برجوازية، تمتّع والده بثقافة متنوّعة، مما انعكس على شخصية جاكبسون، فقد كان مولعا بالمطالعة منذ الصغر، فأتقن الفرنسية وتعلّم الألمانية واللاتينية، كما اهتم بالشعر، وقرأ لكبار الشعراء الروس خاصة، حتى أنه حلّل شعر **مالارميه** وهو في سن الثانية عشر، ونظم الشعر وهو في سن الخامسة عشر، واهتم بالفولكلور وهو ابن السادسة عشر، وهكذا بدأ بتكوين شخصيته المتميّزة وعالمه الخاص. وتخصص جاكبسون في جامعة موسكو في مجال القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية، كما اهتم بالعلاقة بين اللغة والأدب وبدروس دي سوسير، ويعدّ من أوائل اللسانيين في تناول التحليل البنيوي للأشكال الأدبية، ودراسة النص الأدبي لذاته بمعزل عن صاحبه.

اعتمد جاكبسون في البداية على المنهج التاريخي؛ حيث كانت الدراسات اللسانية، في ذلك الوقت، منصبّة على منهج النحويين الجدد الذين كانوا يؤكدون على أن الدراسة العلمية الوحيدة الممكنة للغة تتمثل في دراسة تاريخها وتطور مفرداتها خلال الزمن (وهو المنهج التاريخي الذي وضعه سوسير. وبعدها قام جاكبسون، وبعد اطلاعه على أعمال اللساني الشهير حينها فيرديناند دي سوسير، فنجح في تطوير منهج ركّز فيه على اعتبار أن بنية اللغة هي التي تؤدي وظيفتها الأساسية وذلك من أجل تناقل المعلومات بين مستخدمي اللغة. ويرى جاكوبسون أن اللغة وسيلة للتواصل الإنساني، ويتحقق هذا التواصل بتوفر العناصر التالية: **المرسل، المرسل إليه، قناة الاتصال، اللغة المشتركة، الرسالة، المضمون.**

نتج عن عناصر عملية التواصل عند جاكوبسون وظائف ست للغة تتمثل فيما يلي:

- **الوظيفة التعبيرية (La fonction expressive)،**
- **الوظيفة المعرفية (La fonction cognitive)،**
- **الوظيفة الإفهامية (La fonction conative)،**
- **الوظيفة الانتباهية (La fonction Phatique)،**
- **الوظيفة الميتا لسانية (La fonction métalinguistique)،**
- **الوظيفة الشعرية (La fonction poétique):** وهي إحدى الوظائف الأساسية للغة، لما تدخله من ديناميكية في حياتها، وبدونها تصبح اللغة ميتة وسكونية، وهي موجودة في كل أنواع الكلام، وتتحقق حينما تكون الرسالة معدَّة لذاتها، كما في النصوص الفنية اللغوية، مثلا لقصائد الشعرية، وهي ليست الوظيفة في الشعر، بل هي المهيمنة فيه.

وانطلاقا من هذه الوظائف ركّز جاكبسون على وظيفة واحدة، دون إهمال الأخرى، وهي الوظيفة الشعرية، وأراد من خلالها، تحديد القيمة الفنية والجمالية للنص الأدبي، حيث يقول: "إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب إنما (الأدبية) أي ما يجعل من عملٍ ما عملًا أدبيًا". وقد جاء قوله هذا ضمن

مسعى الشكلانية الروسية في دفاعها عن رأيها الذي يقولُ إنّ جوهر الظاهرة الأدبيّة لا يكون في علاقتِها بمنشأها أو بيئتها إنما في كينونتها الموضوعية، بوصفها بنية مستقلة، ولعل أهمّ مبادئها هو تقييم النص بوصفه نصًا لغويًا فقط، إذ إن بناء النص الأدبي وجوهره الأساس إنما يكون في الكلمات وليس في الأفكار، فليس معنى النص أو مضمونه ولا العوامل الخارجية المحيطة به هو ما يمنح الأدب هويته، إنما صياغته وطريقة تركيبه ودور اللغة فيه هو ما يجعل من الأدب أدبًا، ومن هنا ظهر مع هذه المدرسة النقدية ما يسمّى " **أدبية الأدب** " والذي يسلّط الضوء على مجموع المواصفات التي تتحقّق في النص لتجعل منه أدبًا.

**2- فيليب فيدوروفيتش فوتوناتوف (Filip Fedorovic Fortunatov) (1848-1914):**

كان أستاذ النحو المقارن بجامعة موسكو، معاصرا لرائد مدرسة قازان لبودوان دي كورتيني. وكانت آراؤه في اللغة تقدّمية أيضا بالنسبة لذلك الزمن، وإن لم تبلغ مبلغ آراء بودوان دي كورتيني في حلقة قازان.

1- اهتم فورتوناتوف في المقام الأول بالدراسة العملية، وأخلص نفسه أساسا لدراسة المادة اللسانية الفعلية. وقد أظهر، من خلال الطريقة التي عالج بها ظواهر لغوية بعينها، اتساع أفقه البحثي. فقد فهم، مثلا، الحاجة إلى التمييز بين الزماني Diachrony والآني Synchrony، وكان قادرا بحدسه أن يختار المعايير الخاصة بالتحليل اختيارا صحيحا (إذ تجنّب بنجاح إدخال علم النفس في اللسانيات). وهي الأفكار المشابهة لما جاء به فردينان دي سوسير.

2- من ناحية التأليف، لم يترك فورتوناتوف عددا كبيرا من المؤلفات، ولكنّه أسس رغم ذلك مدرسة لغوية مرموقة (إذ كانت أفكاره المنهجية مصدر إلهام للعمل الذي قام به أعلام بارزون في الدراسات السلافية مثل بشكوفسكي Peskovskij، شاخماتوف Saxmatov، بيليتش Bilic وآخرون). وكانت محاضراته الجامعية الشهيرة مصدرا له فعاليته الخاصة في التأثير.

3- اهتم فورتوناتوف بالدراسات الصوتية من خلال الكثير من أعماله مع الصوتيات للغات الهندية الأوروبية. وشدد على ضرورة اتباع نهج تاريخي صارم في دراسة التغيرات الصوتية.

4- كما درس اللغة السنسكريتية (المواد السائلة الهندية الأوروبية في إندي القديمة، 1896). في أطروحة ماجستير، 1875) Samaveda Aranyaka-Samhita).

5- درس نصًا فيديًا لم يكن معروفًا سابقًا، وفحص فكرة علاقة اللغة بالفكر والمجتمع. في سلسلة محاضراته رسمًا قصيرًا للصوتيات المقارنة للغات الهندية الأوروبية (نشر عام 1922)، محاضرات عن الكنيسة القديمة السلافية الصوتيات (تم نشرها عام 1919)، وأخرى مكرسة للغة اليونانية والأرمنية والقوطية والليتوانية، قدم له عرض اللغة كنظام.